

من صفات المؤمنين في القرآن (وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ)

ذكر في الجمعة الماضية الحديث الذي رواه الإمام أحمد بسنده عن النبي ﷺ أنه قال: لقد أنزل علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة. وبيننا أن تلك الآيات التي من أقامهن وجعلهن منهجاً لحياته والتزم بهن، كان من الوارثين الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون. وتلك الآيات ذكرها الله في مطلع سورة المؤمنون: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ). تحدثنا حول الصفة الأولى من صفات المؤمنين ورثه جنة النعيم وهي "الخشوع في الصلاة". واليوم سنعيش في ظلال صفة الثانية من صفات أهل الإيمان، وقد بينها الله جلّ وعلا بقوله: (وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ).

إن من صفات أهل الإيمان أنهم بعيدون كل البعد عن اللغو: لغو القول أو لغو الفعل أو لغو الاهتمام والشعور. فالمسلم العاقل هو الذي يراقب أقواله ولا ينسى أنه مسؤول عن كلماته. قال أحد الصالحين: فم العاقل مُلجَمٌ، إذا هم بالكلام أحجم. وفم الجاهل مُطلق، كلما شاء أطلق.

عباد الله: حذرنا النبي ﷺ من خطر اللغو في الكلام، فجاء في المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: *إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيه، ينزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب.* وعند الترميذي: *إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً، يهوى بها سبعين خريفاً في النار.* وعن بلال بن الحارث رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: *إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه.* *وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله، ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه.* وروي عن رسول الله ﷺ: *إنه لما بعث معاذاً إلى اليمن فقال: يا نبي الله أوصني. فأشار*

إلى لسانه. يعني عليك بحفظ اللسان. فكأنه تهاون به. فقال يا نبي الله أوصني قال: **تَكَانِكَ أَمَكُ وَهَلْ يُكِبُ النَّاسُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ إِلَّا حَصَائِدَ أَلْسِنَتِهِمْ.**

عباد الله: الكلمة الطيبة مغنم والكلمة الخبيثة مآثم. وقد ضرب الله لهما مثلاً: **(أَلَمْ تَرَى كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ) إبراهيم ٢٤ - ٢٦.** فاختر لنفسك يا أخي إما أن تكون طيب وكلامك طيب وإما أن تكون خبيثاً وكلامك خبيث، فالإناء ينضح بما فيه.

والكلمة الطيبة تشمل: الصدق والصمت والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومن طيب الكلام الإصلاح بين الناس، تلاوة القرآن، الصلاة على النبي ﷺ، الإكثار من قول "لا إله إلا الله"، وذكر الله، الدعاء لنفسك، والدعاء لأخيك بظهر الغيب، الدعاء للمريض، الدعاء للمؤمنين، الاستغفار وغيرها من الألفاظ الطيبة.

أما الكلمة الخبيثة والذي يكون صاحبها أبعد ما يكون عن رحمة الله إلا إذا تاب فتشمل:

١. الكلام فيما لا يعينك: قال ﷺ: **من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.** وحدُّ الكلام فيما لا يعينك أن تتكلم بكلام لو سكت عنه لم تأثم ولم تستضر به. فمطلوب من المسلم أن لا يتدخل فيما لا يعنيه. بعض الناس يحب أن يحشر أنفه في كل صغيرة وكبيرة، يسأل أخاه: هل تعمل؟ كم تتقاضى من الراتب؟ ماذا تفعل بنقودك؟ هذه الأسئلة وإن كانت مُباحة إلا أنها تعتبر من اللغو في الكلام، لأنه أضاع وقته ووقت غيره.

٢. ومن اللغو فضول الكلام: ومعنى ذلك إذا أردت حاجة من فلان فتكلم معه بقدر حاجتك، فإن كان قدر حاجتك تقضيها بثلاث كلمات فإن زدت الرابعة فذلك فضول في الكلام. قال ﷺ: **طوبى لمن أمسك الفضول من لسانه وأنفق الفضول من ماله.** وللأسف الشديد كثير من الناس قَلَبَ الحديث، فأمسكوا فضل المال وأطلقوا فضل اللسان، نسأل الله السلامة.

٣. ومن اللغو الخوض في الباطل: جاء في الحديث الذي رواه ابن مسعود قال: قال ﷺ: **أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضاً في الباطل.** وقال جل وعلا: **(كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ (٣٨)**

إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ). فالذي يرخي سمعه لكلام الغيبة والنميمة والفحش ويخوض في أعراض الناس، وصفه الله بالإجرام وهو من أهل النيران إلا إذا تاب وأناب. فمطلوبُ منك إذا كنت في مجلس وخاض الناس بأعراض إخوانهم: (فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا).

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَحْفَظَ أَقْوَالَنا وَأَعْمَالنا وَنِيَاتنا عَنِ اللُّغُو

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ فَيَا فُوزَ الْمُسْتَغْفِرِينَ اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ

٤. ومن اللغو الذي حذرنا الله منه المراء والجدال: والإنسان المرائي هو الذي يعترض على كلام غيره، سواء كان على حق أو على باطل. حب الجدل يسري بدمه، لا يسلم أحد من جداله ومناقشته. وقد رغبتنا النبي ﷺ كل الترغيب بالبعد عن المراء والجدال فقال ﷺ: أنا زعيمُ بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء ولو كان محقا. وحذرنا من المراء والجدال وقال ﷺ: ما ضلَّ قومٌ بعد إذا هداهم الله إلا بالجل. والمراء والجدل يؤدي إلى آفة الخصومة، وهي من اللغو بالقول والعمل. فالمراء طعنٌ في كلام الغير بإظهار خلل فيه من باب تحقير الغير وإظهار نفسه، فينتج عنه الخصومة والحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه ويحزن بمسرتة، ويُطلق اللسان في عرضه. فالخصومة مبدأ كل شر وكذا المراء والجدال فينبغي ألا يفتح بابه. فاحفظ لسانك واحفظ قلبك من الوقوع في هذا المستنقع النتن.

٥. ومن آفات اللغو الفحش: الشتم والسب وبذاءة اللسان. ومعنى الفحش، التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة. فالإنسان البذيء الذي عنده نقص في تربيته، تجده يتكلم الكلام الفاحش بعبارات صريحة دون حياء أو خجل، تجده يسب أو يشتم بأحط الألفاظ. أما أهل الصلاح أهل الإيمان فيبتعدون عن ذكرها، بل يكفون عنها ويدلون عليها بالرموز، يبتعدون عن السب والشتم وبذاءة اللسان.

٦. ومن اللغو اللعن: قال ﷺ: *المؤمن ليس باللعان*. قال حذيفة: ما تلاعن قوم قط إلا حق عليهم القول (أي العذاب). وقال عمران بن حصين: بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره إذ امرأة من الأنصار على ناقة لها فضجرت منها فلعننتها، فقال ﷺ: *خنوا ما عليها لا يتعرض لها أحد، فإنها ملعونة*. قال فكأنني أنظر إلى تلك الناقة تمشي بين الناس لا يتعرض لها أحد. وكان رجل يسير مع رسول الله ﷺ على بعير فلعن بعيره، فقال ﷺ: *يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون*. فبعضنا يلعن ولده، زوجته، ماله فيسيء لنفسه ولغيره من حيث لا يشعر، فانتبه لذلك.
٧. ومن اللغو المزاح المذموم: قال ﷺ: *إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا*. وقال عمر: من كثر كلامه قلت هيئته، ومن مزح أستخف به.
٨. ومن اللغو السخرية والاستهزاء: *(لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن)*. ومعنى السخرية: الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه.

وهناك آفات كثيرة للغو في القول والعمل والاهتمام والشعور لا يتسع المجال لذكرها. نسأل الله عز وجل أن يجنبنا من الوقوع بها، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده. فانتبه لنفسك يا أخي، يا من أصبح همك وشغلك اللغو في الحديث والطعن في أعراض الناس وبث الشائعات ونقل الأخبار من غير تثبت عن أخيك المسلم. فأقول لك: أمسك عليك لسانك لا تؤذي إخوانك بلسانك. وأختم بتلك القاعدة الشرعية التربوية النبوية التي تُعتبر ميزان ومقياس دقيق لك أيها المسلم ولك أيتها المسلمة، يوم تجلس مجلساً وهو قول النبي ﷺ: *من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت*. فوالله الذي لا إله إلا غيره ولا رب سواه ما وصلت الأمة إلى ما وصلت إليه من ذل وهوان، وما وصلت إلى ما وصلت إليه من استهزاء المسلم بأخيه المسلم والتطاول على عرضه، هذا ينهش لحم هذا، وهذا يأكل لحم هذا، وهذا يمكر بهذا، وهذا ينشر الشائعات عن هذا، ما وصلنا إلى هذا المستوى المنحط إلا عندما غفلنا عن اليوم الآخر وتعلقنا بالدنيا وشهواتها وملذاتها وغفلنا عن القاعدة الشرعية النبوية: *من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت*. نسينا يوم الحساب والعذاب ونسينا الجنة والنار وغفلنا عنها.

فاتقوا الله عباد الله واضبطوا ألسنتكم وحاسبوا أنفسكم قبل أن تتلفظوا, فما كان خيراً فتكلموا به وما كان سواه فاتركوه. واحذروا من آفات اللسان فإنها لا تزال بالمرء حتى تهلكه. يقول الله جل وعلا: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ), (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا), (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا).

أسأل الله أن يسمع قلوبنا